International Journal of Arabic Language and Literature Studies
المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وادابها
ISSN: 2707-7659
DOI: 10.32996/ijalls
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijalls

مميزات الحكمة في الأدب الجاهلي و صدرالإسلام: دراسة مقارنة

محمد عزيز فيض-الأستاذ المشارك في جامعة التعليم والتربية كابل، أفغانستان

تاريخ استلام البحث: 2025/07/20 **تاريخ نشر البحث: 2025/08/31** **المجلد: 7** **العدد: 1**

الملخص:
تُعتبر الحكمة من أبرز الموضوعات في الأدب العربي، حيث تأخذ مكانة بارزة في كل من الشعر والنثر. يهدف هذا البحث إلى دراسة ميزات الحكمة في الأدب الجاهلي والإسلامي المبكر، وكيفية تحولها مع ظهور الإسلام. يسعى البحث لتسليط الضوء على تأثير القيم الأخلاقية والفكرية والدينية على الأدب والحكمة، ومدى مساهمة الحكمة في تقوية الأخلاق الإنسانية خلال هذين الحقبتين التاريخيتين .تُظهر نتائج البحث أن الحكمة في الشعر الجاهلي كانت تعبّر عن تجارب شخصية وخبرات إنسانية، مثل الشجاعة والكرم و الموت، بأسلوب مباشر و بسيط، مع استخدام ألفاظ قوية و صور بلاغية تعكس الطبيعة و الحياة اليومية في الصحراء. في حين كان النثر الجاهلي يعتمِد على البساطة والإيجاز و غالبًا ما تتخذ الحكمة شكل الأمثال أو الأقوال المأثورة. أما في شعر صدر الإسلام، فقد تحوّلت الحكمة لتصبح أكثر دينية، مُركزة على بناء القيم والأخلاق وفقًا لنصوص الشريعة، بأسلوب مُبسط يميل إلى الوعظ وإشاعة الفضائل الإسلامية. كما تأثر النثر في هذه الفترة بشكل أكبر بالقرآن الكريم، مع استخدام الاستعارات والصور القرآنية .استند الباحث في إعداد هذا المقال إلى المنهج المقارن التاريخي والتحليل الأدبي، مع استخدام الطريقة العلمية المكتبية

الكلمات المفتاحية: مميزات، الحكمة، الأدب، الجاهلي، صدر الإسلام.

The Characteristics of Wisdom in Pre-Islamic and Early Islamic Literature: A Comparative Study

Mohammad Aziz Faiz

Arabic Language and Literature Department, Kabul University, Afghanistan
Corresponding Author: Mohammad Aziz Faiz, **E-mail**: mazizfaiz@yahoo.com

RECIEVED: 20 July 2025 **PUBLISHED:** 31 August 2025 **DOI:** 10.32996/ijalls.2025.7.1.14

Abstract

Wisdom is one of the most prominent themes in Arabic literature, occupying a prominent position in both poetry and prose. This research aims to examine the characteristics of wisdom in pre-Islamic and early Islamic literature, and how it transformed with the advent of Islam. The research seeks to shed light on the influence of moral, intellectual, and religious values on literature and wisdom, and the extent to which wisdom contributed to strengthening human morality during these two historical eras. The research results show that wisdom in pre-Islamic poetry expressed personal experiences and human expertise, such as courage, generosity, and death, in a direct and simple style, using powerful vocabulary and rhetorical images that reflect nature and daily life in the desert. Pre-Islamic prose, on the other hand, relied on simplicity and brevity, and wisdom often took the form of proverbs or aphorisms. In early Islamic poetry, wisdom became more religious, focusing on building values and morals according to Islamic law, in a simplified style that tends toward preaching and promoting Islamic virtues. Prose during this period was also further influenced by the Holy Quran, with the use of Quranic metaphors and imagery. The researcher relied on a comparative historical approach and literary analysis, employing the scientific library method.

Keywords: Merit, Wisdom, Literature, Pre-Islamic, Early Islam

1. المقدمة

تُعتبر الحكمة خلاصة من التجارب الإنسانية التي عاشها الناس، حيث تمكنوا من استخلاص حكم مستندة إلى تجاربهم و احتكاكهم بأحداث الواقع، و قد عبروها بكلمات بلاغية و أسلوب فني، و صبّوها في أشعارهم بإيجاز و تماسك. كانت الحكمة و الشعر في العصر الجاهلي و صدر الإسلام أدوات رئيسية للتعبير عن القيم الاجتماعية و الدينية و الفلسفية، و كانت لهما مكانة بارزة في كل من الشعر و النثر خلال تلك الفترات .تسعى الحكمة إلى تقديم النصح و الإرشاد و الموعظة، لتكون تعبيرًا عن تجربة ذاتية و تأمل عميق في أمور الحياة. فعند التأمل في حكمة جاهلية مثلاً نلاحظ أنها تصلح لكل العصور تمامًا كما نجد أن الحكمة الأجنبية تنطبق على جميع المجتمعات. يعود ذلك إلى أن الهدف منها إنساني، يهدف إلى توعية الفرد و توجيهه نحو ما فيه صلاحه. تتضح أهمية هذا البحث في قدرته على إظهار تطور الحكمة و تغير مضمونها تحت تأثير العوامل الدينية والاجتماعية التي جاء بها الإسلام.

2. أهمية الموضوع

تعد دراسة الحكمة و مميزاتها في الأدب الجاهلي و الإسلامي مهمة لفهم الأدب العربي و تاريخه، و كذلك لفهم الثقافة و القيم التي شكلت المجتمعات في تلك الفترات.

3. أهداف البحث

- تحديد مفهوم الحكمة في الأدبين الجاهلي و صدر الإسلام.
- بيان الخصائص الموضوعية و الفنية للحكمة في كل عصر
- إبراز أوجه الاتفاق و الاختلاف بين الحكمة الجاهلية و الإسلامية.
- إبراز دور الحكماء و الشعراء في نقل الحكمة عبر العصور.

4. أسئلة البحث

- ما مفهوم الحكمة في الأدب الجاهلي و صدر الإسلام؟
- ما هي الخصائص الفنية و الموضوعية للحكمة في الأدب الجاهلي؟
- ما هي أبرز سمات الحكمة في أدب صدر الإسلام؟
- ما أوجه التشابه و الاختلاف بين الحكمة في الأدب الجاهلي و صدر الإسلام؟

5. منهج البحث

المنهج الذي استخدم الباحث هو منهج المقارنة التاريخية و التحليل الأدبي من خلال نصوص مختارة من الأدب الجاهلي و أدب صدر الإسلام، و أما المدخل المستخدم في هذا البحث فهو البحث المكتبي و استفاد الباحث من مراجع و المصادر المعتبرة مما يتعلق بالموضوع.

الدراسات السابقة

لم أجد عن بحث فى هذا الموضوع بالشكل والمنهج الذى أريد بحثه و لكن تناول عدد من الباحثين و المؤلفين موضوع الحكمة في الأدب العربي القديم و أيضًا في الأدب الإسلامي، و لكن غالبية هذه الدراسات تناولت الحكمة بشكل عام دون إجراء مقارنة دقيقة بين الحكمة في الجاهلية و صدر الإسلام. من أبرز هذه الدراسات:

فقد أورد الضيف(1960م)، في كتابه«تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي» نماذج من أشهر الأبيات التي تناولت الحكمة في الشعر الجاهلي، دون أن يجري مقارنة تحليلية بين ميزات تلك الأبيات. كما تناول سليمان عمر(1415هـ) في مؤلفه«الحكمة» تعريف الحكمة و مجالاتها، و استعرض أمثلة من القرآن الكريم و السنة النبوية، إلى جانب الحديث عن مصادرها و أنواعها، إلا أن دراسته لم تتطرق إلى مقارنة بين خصائص الحكمة في عصورها المختلفة. في حين ركّز الرافعي(1963م) في كتابه «تاريخ آداب العرب- الجزء الثاني» على الشعر الحكمي، دون التعرّض إلى أقوال الحكمة النثرية، و لم يُقدم دراسة مقارنة لسمات الحكمة عبر الأزمان.

6. مفهوم الحكمة

6.1. الحكمة في اللغة

بحسب ما ذكره ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة"، فإن جذر لفظ "الحكمة" الذي يتكون من الحاء و الكاف و الميم يشير إلى معنى أساسي و هو المنع، و أول ما يُعبر عنه هو الحُكم الذي يعني منع الظلم. و قد وُصفت الحكمة في الدابة بأنها تمنعها(ابن فارس،1979، 91)، وفقًا لمعجم "المنجد في اللغة والأعلام"، فإن "الحكمة" تأتي من الفعل حكم، حيث يصبح الشخص حكيمًا عندما تُحكمه التجارب. تعني الحكمة مجموع حِكَم، و تدور حول الكلام الذي يتوافق مع الحق و الفلسفة، فـ "أحكم" تعني أتقن(معلوف،1996، 146).

في "لسان العرب"، تُعَّرف الحكمة بأنها معرفة الأمور بدقة و كمال. و الإنسان الحكيم هو الذي يحكم الأشياء و يتقنها. و ورد في التعريف أن الحكيم هو الشخص الذي يمتلك الحكمة(ابن منظور،1303، 952)، و تُعرف الحكمة أيضًا بأنها معرفة أفضل الأمور بأفضل العلوم. كما يُطلق على من يُحسن الصناعات المختلفة و يُتقنها لقب "حكيم"(العمر،1412، 12). لذا، يتضح أن الحكمة تُعبر عن معرفة دقيقة بالأمور، لكن لا يوجد مفهوم محدد موحد لها، إذ يُطلق أحيانًا على الشخص لقب "رجل حكيم" و أحيانًا يُعرّف بـ "الحكيم" الذي يعرف أفضل الأمور وأدقها(ابن منظور،1303، 952).

6.2. الحكمة في الاصطلاح

تُعرَّف الحكمة بأنها قول بليغ و موجز يعبّر عنه لسان حكيم، حيث يجمع خلاصة تجاربه و خبراته في الحياة، و يقوم على مبادئ راسخة و مقبولة عقلاً، تنقاد لها النفوس و المشاعر(عوضين،1982، 331). تعتبر الحكمة علمًا بالأمور و معرفة شاملة لكل ما يتوجب على الإنسان معرفته. تعتمد حكمة العرب على قوة العقول و رجاحة الأفكار، و هي ليست نتاج فلسفة أو منطق كما لدى اليونانيين، بل هي تجارب و آراء خضعت للمواقف الحياتية دون أن تُؤطَّر بدين أو تُستمد من كتب(التونجي،1999، 375). تُعتبر الحكمة بمثابة وقاية من الجهل، و إذا وُصف شخص بأنه "المحكّم"، فإن ذلك يُشير إلى تجربته و نسبته إلى الحكمة. كما قال طرفة:

لیت المحكَّم و الموعوظ صوتكما تحت التراب إذا ما الباطل انكشفا

أراد بالمحكَّم الشيخ المنسوب إلى الحكمة(ابن فارس،1979، 91).يبدو أن الحكمة تعبر عن خبرات الحياة، أو جزء منها على الأقل، بشكل مباشر في صيغة مجردة. فقد أضفى الحكماء معنى مجردًا على الأمثال، مستخدمين كلمات عامة. كما قام بعض الشعراء بتحويل النثر إلى نظم يتميز بالإيقاع و القافية، مما جعلهم يُعرفون بشعراء الأمثال(المارودي،1999، 22).

6.3. الحكمة في الأدب العربي

الحكمة في الأدب العربي تعود إلى صلابة العقول و عمق التجارب الحياتية التي عاشها العرب. هذه الحكمة ليست مرتبطة بمذهب معين أو تتبع اتجاهًا فلسفيًا معينًا كما هو الحال في القضايا العلمية التي تناولتها الفلسفات اليونانية أو القوانين الرومانية. بل، تعتمد على الأخلاق الراسخة التي تنشأ عن العادات، و نظرة الفرد إلى ذاته وفقًا لطبيعته(الرافعي،2000، 114).

فكانت حكمة العرب راجعة إلى وثاقة الحلوم و شدة العقول و فضل المنزلة في تجارب الآباء، فهي حكمة لاتجري على مذهب و لا تدور على نحلة و لا يبلغ بها الزمن مبلغ أحد هذين النوعين بالقياس و الاستنباط، كما يكون ذلک في القضايا العلمية و على النحو الذي أخذت إليه شرائع الرومان و فلسفة اليونان مثلاً، و إنما كان أساس تلک الحكمة رسوخ الأخلاق فيهم بحكم العادة و نظر كل امرىء لنفسه بحكم الطبيعة، و ذلک كان محورَ دينهم الطبيعي(الرافعي،2000، 96).

7. الحكمة في الجاهلية

تعريف الجاحظ للعصر الجاهلي يضع إطارًا زمنيًا محددًا للشعر الجاهلي، حيث يعتبر أن بداية هذا الشعر تعود إلى الشاعرين امرؤ القيس بن حجر و مهلهل بن ربيعة. و وفقًا له، فإن فترة الشعر الجاهلي تمتد إلى ما يقارب 150 عامًا، و قد تصل إلى 200 عام إذا تم احتسابها بشكل شامل(الجاحظ،د.ت، 74).

تُعتبر الحكمة في العصر الجاهلي نتاجًا لتجارب الحياة لدى العرب، وغالبًا ما كانت تُصاغ بأسلوب منمق مزين بالسجع. تحمل هذه الحكم دلالات عميقة عن عقلية المجتمع الجاهلي، حيث تظهر الهيمنة القوية والتأثير الكبير للبيئة البدوية على الفكر. و ممن اشتهر من الحكماء في ذلك الوقت لقمان وأكثم بن صيفي وعامر بن الظرب(الفاخوري،1986، 110).

التراث الجاهلي: لاريب أن العرب، كغيرهم من الشعوب السامية، كانوا يميلون بشدة إلى استخدام الأمثال و إطلاق الحكم، بهدف إضفاء الجمال على حديثهم و دعمه بقوة المعنى(الفاخوري،1986، 111).

جمع الأمثال و الحكم: يُظهر الشعراء والحكماء العرب في العصر الجاهلي اهتمامًا كبيرًا بجمع الحكم والأمثال، والتي يمكن أن تكون محلية مستمدة من أقوال الحكماء العرب أو مستوردة من ثقافات أخرى عبر التواصل و الأسفار. تُشير المصادر التاريخية إلى أن الحكيم عامر بن الظرب، عندما شعر بالتهديد من ملك غساني، أخبره بأن لديه "كنز علم" يحمله في ذاكرته، و طلب منه أن يمنحه فرصة للعودة إلى بلاده ليحضر له المزيد من الحكم: *«إن لي كنز علم، و ان الذي أعجبک من علمي إنما هو من ذلک الكنز أحتذي عليه، و قد خلّفته خلفي، فإن صار في أيدي قومي علم كلهم مثل علمي، فأذن لي حتى أرجع إلى بلادي فآتيک به»*(الأسد،1996، 165). كما كان الملوك يحرصون على التواصل مع الحكماء لطلب مشورتهم و معرفة حكمتهم، كما فعل ملك هجر عندما كتب إلى أكثم بن صيفي طالبًا منه نصائح مختصرة تعود بالنفع، حيث أرسل له بعض العبر المهمة، فكتب إليه: *«إن أحمق الحمق الفجور، و أمثل الأشياء ترک الفضول...»* (الأسد،1996، 17).

حرص الحكماء على الحفاظ على مكانتهم الاجتماعية و الثقافية جعلهم يولون عناية خاصة لكيفية صياغة حكمتهم، حيث كانوا يكررونها في أذهانهم لتكون دقيقة و ملائمة للمواقف. و تتميز الحكم الجاهلية بخصائص فنية، من أبرزها انتقاء الحكيم للألفاظ بعناية، حيث يسعى إلى اختصار المعاني في كلمات تحمل دلالات واضحة تعكس تجاربه الحياتية. كما كان يهدف إلى صياغة تلك الألفاظ في نسق متوازن يُحقق وضوح الرسالة، و يعبر عن المعاني المجردة و المادية بشكل متكامل(عوضين،1982، 332). عند مراجعة مجموعة الأمثال الجاهلية التي اهتم الأدباء بتجميعها، سواء كانت صحيحة أو مدسوسة، نلاحظ أنها تختلف بشكل كبير من حيث الزمن التاريخي الذي تعكسه و أسلوب التعبير الذي تتبناه. فبعض هذه الأمثال تحمل معاني تاريخية غامضة و غير واضحة، بينما تمثل بعض الأمثال أحداثًا موثوقة و مؤكدة، و يظهر فيها دقة لا شائبة فيها. كما أن بعض الأمثال أُعطيت شكلًا مختصراً يفتقر أحيانًا إلى الجمال البلاغي، رغم أنه يوجد أمثال أخرى تتميز ببلاغتها و جمالها من خلال استخدام تشبيهات جيدة و كنايات محكمة(عوضين،1982، 113). كان الحكيم في الحقب الجاهلية يُعتبر بمقام الشاعر، بل قد يتفوق عليه في الأهمية، حيث كانت القبائل تلجأ إليه في أوقات الحرب و السلم. و من بين هؤلاء الحكماء، كان هناك من يتبعون نهجًا يُشبه نهج الحكماء في الشرق الأدنى، مما يعني أن الحكيم العربي كان يشاركه الكثير من الصفات مع الحكماء البابليين و العبرانيين. فقد اجتمعت في شخصية الحكيم مجموعة من الأدوار، حيث كان يجمع بين وظيفة القاضي و المشرع، بالإضافة إلى دور الكاهن و الطبيب و عالم النجوم. وبذلك، كان الحكيم يمثل نموذجًا للمعرفة الشاملة التي تتجاوز الحدود التقليدية. كما أن بعض الحكماء العرب كانوا يُورّثون حكمتهم لأبنائهم، كما فعل حكماء الشرق القديم، الذين كانوا يلقنون أولادهم تعاليم الحكمة (عوضين،1982، 113).

7.2.خصائص الحكمة الجاهلية: أما فيما يتعلق بخصائص الحكمة الجاهلية، فمن الواضح أن هناك حنينًا عميقًا في النفس البشرية نحو عالم روحي يتجاوز المادة و شرورها. و قد تجلى هذا الحنين عند الجاهليين بوضوح، حيث عبّروا عنه بأساليبهم الخاصة. و قد كانت لديهم حكمة مرتبطة بما وراء الطبيعة، إلى جانب شعر يعبر عن التدين، و هذا ما يُعرف بالشعر الحنيف(عوضين،1982، 148). تستند الحكمة الجاهلية إلى تجربة شخصية و اختيار، حيث كانت تُعبّر عن نفسها بعبارات موجزة و محتوى سطحي، و بتواصل ضعيف مع العالم الروحي. و تركز هذه الحكمة بشكل أساسي على الأمور الحسية التي تتعلق بالموت، مثل الفقدان و المصير المحتوم للإنسان، سواء كان الشاب أو الشيخ(عوضين،1982، 148).

أما شعر التدين، فقد كان يتسم بالطابع الأخلاقي الروحي المرتبط بالمسيحية، حيث احتفظت لنا نصوص هذا الشعر بمعلومات أكثر عن المسيحية مقارنة بأي دين آخر من أديان الجاهلية. و يمكن أن يُعزى هذا الأمر إلى أن المسيحية كانت من بين الديانات التي غمرت الحياة الجاهلية بالروحانية، بالإضافة إلى تأثير سلطتين رئيسيتين، هما الرومان في الشمال و الأحباش في الجنوب، اللتين ساهمتا في نشرها والحفاظ عليها. و قد نجح الرهبان المسيحيون في جذب اهتمام الشعراء الجاهليين من خلال تفرغهم للعبادة و الابتعاد عن الأمور المادية، مما جعلهم أكثر تأثيرًا من أي مظاهر دينية أخرى في تلك الحقبة(عوضين،1982، 148).

8. الشعر الحكمي

الشعر الحِكمي يُعتبر نوعًا خاصًا من الشعر العربي، يركز على مجالات الدين و الفلسفة و الأخلاق. إذا قمنا باستعراض أشعار العرب و ما تلاهم، سنجد أن هذا النوع من الشعر يتسم بتركيزه على القضايا المبدئية التي تجمعه. و مع أن الشعر الحِكمي قد لا يُعتبر شعرًا خالصًا، إلا أنه يُعد مذهبًا شعريًا له تاريخه الخاص(الرافعي،2000، 114).

لقد وجه الشعراء حكمتهم نحو الأخلاق والسياسة، و لم يعطوا اهتمامًا كبيرًا لتصريف مذهب أو دين معين في قصائدهم، بل إن قلة دراستهم لكتب الأديان و تجاهلهم لمظاهرها كانت من أسباب ذلك. فقد احتقروا الأفكار و المعتقدات التي كانت سائدة عند الفرس و النبط والروم، رغم وجود بعض القبائل التي تعتنق اليهودية و النصرانية. فقد كانت اليهودية موجودة لدى قبائل مثل بني كنانة و كندة، بينما كانت النصرانية بين ربيعة و غسان و بعض قبائل قضاعة، بالإضافة إلى أهل نجران. و مع ذلك، جاء الإسلام ليُحدث تحولًا كبيرًا في الشعر، حيث استطاع الشعراء في صدر الإسلام

أن ينسجموا مع تقاليد العرب، و بدأت تظهر في بعض القصائد الإشارات إلى الآخرة و معاني الحكمة الأخلاقية(الرافعي،2000، 114)، كما قال عمر بن الخطاب: «*كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب و تشاغلوا بالجهاد، و غزوا فارس و الروم، و لهيت عن الشعر و روايته*» (ابن سلام،1974، 24).

من أبرز الحكماء في العصر الجاهلي وأمثلة من أقوالهم:

- قُس بن ساعدة الإيادي (توفي حوالي 600 م): كان خطيبًا وحكيمًا شهيرًا من العرب. من بين أقواله المعروفة:

«*أيها الناس، اسمعُوا و عُوا، إنه من عاش مات، و مَن ماتَ فاتَ، و كل ما هو آتٍ آت ... إن في السماء لَخبراً، وانَّ في الأرض لَعِبراً ... يا معشر إياد، أين الآباءُ و الأجداد، و أين الفراعنة الشداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالاً، و أطولَ آجالاً؟! طَحَنَهُمُ الدهرُ بِكَلكَلِهِ، و مزَّقهُم بِتطاوله!*» (عوضين،1982، 125).

- أكثم بن صيفي التميمي (توفي630 م): كان واحدًا من حكماء العرب في الجاهلية، وعرف بحكمته.

ومن أشهر حكمه:

«*شر النصرة التعدي. رب قول أنفذ من صول. رب عجلة تهب ريثا. إذا فزع الفؤاد ذهب الرقاد. رب كلام ليس فيه أكتتام. ليس من العدل سرعة العذل. ويل للشجي من الخلي*»(عوضين،1982، 332). «*العجز مفتاح الفقر، و الخير الأمور الصبر، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي. الصدق ينبيء عنك لا الوعيد*»(صفوت،1933، 21). «*العزُّ و الغلبةُ للحِلم*»(الدينوري،2008، 408).

- زهير بن أبي سلمى (627/530 م): شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، وكان ميالًا إلى الحكم. قال في إحدى قصائده:

رأيتُ المنايا خَبطَ عشواءَ من تُصِب تُمِتهُ و مَن تخطئ يُعَمِّر فَيهرَمِ»

في هذا البيت تتجلى صورة فنية رائعة، حيث يُصور الشاعر الموت كناقة عمياء تائهة لا ترى الطريق أمامها، تسير باضطراب دون هدى أو نظام. و يظهر التأمل في قضايا الحياة و الموت بشكل متكرر في شعر زهير، و من ذلك ما قاله في أحدى قصائده لهرم:

تــزوَّد إلى يــوم الممــاتِ فإنّــه و لـو كرهتـه النـفسُ آخــرُ موعدِ

و حين نطالع شعره نجد فيه الكثير من الحكم، يوزعها بين موضوعاته المتنوعة التي يتناولها، و من ذلك تلك الحكم قوله:

و كنتُ إذا ما جئت يـوماً لحاجةٍ مضت و أجمَّت، حاجةُ الغدِ ما تَخلُو

فإن الحــقَّ مقــطعهُ ثــلاث يمــينٌ أو نفــارٌ أو جـــلاءُ(شوقي،1960، 326).

كما عُرف به بيت يقول فيه:

«*إن الحق مقطعه ثلاث: يمينٌ أو نفارٌ أو جلاءٌ*» وقد أعجب عمر بن الخطاب بهذا البيت لما فيه من دقة ووضوح، وعبَّر عن رغبته في تعيينه قاضيًا بسبب حكمته و يقول: «*لو أدركته لوليته القضاء لحسن معرفته و دقة حكمه*»(العسكري،1971،). كان زهير يتسم بصفات أخلاقية سامية، مثل صدق الطوية، حسن المعشر، ودماثة الخلق، الشيء الذي أثرى شعره بالحكمة والرصانة، كما عبر عن مللله من تكاليف الحياة في قوله:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حــولا لا أبالك يســأم

و من المعروف في سيرته أنه كان صادق النية، حسن التعامل، لطيف الخُلق، متجنبًا للحقارة، عفيف النفس، مؤمنًا بيوم القيامة. و لعل هذه الصفات الرفيعة هي التي جعلت شعره يتسم بالحكمة و الوقار(اليعقوبي،1358، 103).

و في الحرب:

و ما الحربُ إلّا ما علمتُم و ذُقتُم و ما هُوَ عنها بالحديثِ المُرَجَّمِ

متى تبعـثو ها، تبعثوها ذميمةً و تـضرَ إذا ضرَّيتموها فتـضرَمّ(زينو، د.ت، 9).

- عامر بن الظرب العدواني (370 / 455هـ): يعد من أبرز حكماء و خطباء الجاهلية، و قد نسبت إليه العديد من الحكم و الوصايا. و رغم امتلاء كتب الأدب بأمثال و حكم تعود إلى تلك الحقبة، إلا أن أغلبها لا يُذكر فيه اسم القائل، مما أدى إلى امتزاج حكم الجاهلية بغيرها. كما أن طبيعة الحكمة الموجزة تجعل من الصعب على الباحث التحقق من مصدرها بدقة(عوضين،1982، 332). من أقواله:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا و ما علـم الإنـسان إلا ليعلـما(عوضين،1982، 332).

- عمرو بن معديكرب(توفي: 641م): هو أحد شعراء الجاهلية المعروفين، جمع بين موهبة الشعر و بطولة الفروسية، و ينتمي إلى قبائل اليمن. من أقواله: «*إنما المرء بأصغريه: قلبهِ و لسانهِ، فبلاغ المنطق الصواب، و ملاك النجعة الارتياد، و عفو الرأي خير من استكراه الفكرة*»(صفوت،1933، 28).
- الحارث بن ظالم(ت 600م)، كان من زعماء قبيلة غطفان، و يعد من أبرز من عرفوا بالبطش و الفتك بين العرب في العصر الجاهلي، و قد لقي حتفه في منطقة حوران. من أقواله: «*إن من آفة المنطق الكذب، و من لؤم الأخلاق الملق*»(صفوت،1933، 29).
- قس بن ساعدة (ت نحو600م): كان من أبرز خطباء العرب في العصر الجاهلي، و يُعد من الحكماء المعروفين في زمانه. من أقواله: «*من عاش مات، و من مات فات، و كلّ ما هو آتٍ آت*»(صفوت،1933، 35).
- عمرو بن كلثوم(ت نحو 584م): يعد من أحد كبار زعماء قبيلة تغلب، و هو شاعر جاهلي مسيحي عُرف ببلاغته، و يصنف من بين شعراء المعلقات المشهورين. من أقواله: «*و أعلموا أن أشجع القوم العَطُوف، و خير الموت تحت ظلال السيوف. و موت عاجل خير من ضنى آجل. و لا خير فيمن لا روية له عند الغضب، و لا فيمن إذا عُوتِب لم يُعتِب*»(صفوت،1933، 48)، و قال في الشجاعة:

و إنّا سوفَ تُدركنا المنايا مُقدَّرة لنا و مُقدَّرينا(يعقوب،1991، 66).

- لبيد بن ربيعة العامريّ(ت نحو 560-661م): شاعر مخضرم اشتهر في الجاهلية و الإسلام، و يعد من أصحاب المعلقات، و قد استقر في الكوفة بعد اعتناقه الإسلام. من أقواله:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غَولها فرجامها(يعقوب،1991، 492).

- الحارث بن حِلّزة(توفي:580 م)، شاعر من العصر الجاهلي عُرف بالحكمة، و يُعد أحد أبرز شعراء المعلقات. نموذج من كلامه:

و في الصبر عند الضِيّق للمرء مخرجٌ و في طُول تحكيمِ الأُمورِ تجاربُ(الماوردي،1999، 65).

- امرُؤ القيس(توفي نحو 500-540م): يعتبر من أعلام شعراء الجاهلية، و قد تميز بتجديده في المعاني الشعرية التي اقتبسها العديد ممن جاءووا بعده، و هو من أبرز شعراء المعلقات. من أقواله:

في فضيلة الصمت:

إذا المرءُ لم يخزن عليهِ لسانَهُ فليس على شيء سواه بخزّان(الدينوري،2008، 12).

في العُسر و اليُسر:

ألا إنَّ بعد العدم للمرءِ قنوةً و بعدَ المشيبِ طول عُمرٍ و ملبَسا

يدعو الشاعر في هذا الموضع إلى التحلي بالأمل، مبينًا أن الضيق يعقبه اليسر، و أن الكِبر في السن لا يمنع من دوام الحياة و الاستمتاع بها(زينو، د.ت، 14).

- حاتم بن عبدالله الطائي(ت أواخر القرن 6): هو أحد شعراء الجاهلية الذين ذاع صيتهم لما عُرفوا به من شجاعة و كرم و سخاء بالغ، حتى أصبح مثالًا يُحتذى به في الجود. من أقواله:

أكلوا اليوم من رزق الإله، و أبشروا فإنَّ على الرَّحمن رزقكم غدا(الماوردي،1999، 112).

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي(الدينوري،2008، 358).

- ضابئُ بن الحارث البرجمي(توفي نحو 30هـ): شاعر من العصر الجاهلي، أدرك بداية الإسلام، و قد توفي و هو في السجن خلال خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، لقذفه امرأة مسلمة -أم بني جرول بن نهل- في شعره. من حكمه:

و في الشّك تفريطٌ، و في الحزمِ قوّةٌ و يُخطئُ في الحدس الفتَى و يُصيبُ(الماوردي،1999، 66).

- جرير بن عبدالمسيح بن عبدالله(ت 42 سنة قبل الهجرة): شاعر من العصر الجاهلي، و هو خال الشاعر المعروف طرفة بن العبد، و قد اشتهر بلقب المتلمس. من أقواله:

و من حَذَرِ الأوتارِ ما حزَّ أنفَهُ قصيرٌ و خاضَ الموتَ بالسيف بَيهَسُ(الماوردي،1999، 117).

- عَبيد بن الأبرص(توفي نحو 600م): شاعر جاهلي عرف بالحكمة، و يُعد من أبرز أصحاب "المجمهرات"، له ديوان شعري ، قد قتل على يد النعمان بن المنذر في يوم بؤسة(معلوف،1423، 370). من حكمه:

إذا أنتَ حمَّلتَ الخَؤونَ أمانةً فإنَّك قد أسندتَها شرَّ مُسنِد(الماوردي،1999، 114).

- الزبير بن عبدالمطلب(...؟): هو الابن الأكبر لعبدالمطلب من بين أبنائه العشرة، و يُعد كذلك أعم أعمام النبي صلى الله عليه و سلم، و قد توفي قبل بداية الدعوة الإسلامية؛ لذلك يعد من شعراء العصر الجاهلي. نموذج من كلامه:

إذا كنتَ في حاجةٍ مُرسلاً فأرسل حكيماً و لا تُوصه

و إن بابُ أمرٍ عليك التوَى فشاور لبـيباً و لا تعصه(الماوردي،1999، 117)

- الأضبط بن قريع بن عوف السعدي(توفي 550 ق م): شاعر من العصر الجاهلي، و قد نقلت عنه بعض الأقوال التي تعبّر عن فكره و تجربته:

قد يَجمَعُ المالَ مَن غيرُ آكله و يأكلُ المالَ غيرُ مَن جمَعَه

فاقبل مِنَ الدَّهر ما أتاك به مَن قرَّ عيناً بعيشه نَفَعه (الماوردي،1999، 157)

- عبيد بن عبدالعزّى السلامي(...؟): قوله في الجود و الكرم:

أعاذلَ إنَّ الجودَ لا ينقصُ الغنيّ و لا يدفعُ الإمساك عن مال مكثر

ألم تسألي و العلمُ يشفي من العمى ذوي العلم عن أنباء قومي فتخبري(زينو، د.ت، 12).

- هند بنت الخُسّ الإيادية(...؟): كانت تعد من النساء الحكيمات في الجاهلية(معلوف،1423، 598)، و قد نقلت عنها أقوال مأثورة تتعلق بالكرم و البخل:

و ليس الفتى عندي بشيءٍ أعدّه إذا كان ذا مالٍ من العقل مفلس

و ذو الجُبن مما يسعرُ الحرب نفخُه يُهيّج منها نارها ثم يخنُسُ

و كم من كثير المال يقبضُ كفَّه و كم من قليل المال يعطي و يسلسُ

و كم من صغيرٍ نزدريه لعلـّه يُهيج كبيراً شرّه متبجّــسُ(زينو، د.ت، 12)

- بشر بن أبي خازم (توفي نحو 32 ق هـ)، شاعر فحل من شعراء العصر الجاهلي، ينتمي إلى أهل نجد. من كلامه في الموت:

و كلُّ نفسٍ اِمرئ و إن سَلِمَت يوماً ستحسو لميتة جرعا (زينو، د.ت،12).

- عنترة بن شدّاد العبسيّ(نحو 525-615م): من أعلام الشعراء في العصر الجاهلي، و أحد أبرز فرسان العرب. من أقواله في الشجاعة، و الفروسية:

و من لم يَعِش متعززاً بسنانِه سيموتُ موتَ الذُّل بين المعشَر(محمد، د.ت، 49).

إذا كشفَ الزمانُ لكَ القناعا و مدَّ إليك صرفَ الدهرِ باعا

فلا تخشى المنية و ألقينها و دافع ما استطعت لها دفاعا (محمد، د.ت،50).

نحا فارسُ الشهباء و الخيلُ جُنّحٌ على فارس بين الأسنةِ مُقصَدِ(محمد، د.ت،29).

و قال في الخيانة:

و كلُّ قريبٍ لي بعيدٌ مَودَّةٍ و كل صديقٍ بين أضلُعهِ حقدُ(محمد، د.ت،17).

9. الحكمة في صدرالإسلام

كانت الحكمة عند العرب في العصر الجاهلي نابعة من رجاحة عقولهم، و حصافة آرائهم، و ما اكتسبوه من خبرات الحياة وتجاربها، لذلك لم تكن هذه الحكمة مرتبطة بمذهب ديني معيّن أو تستند إلى عقيدة محددة(الرافعي،2002،114).

أما في صدر الإسلام ، شهدت الحكمة نقلة نوعية من حيث مضمونها و معانيها، حيث لم تعد مجرد تأملات و تجارب دنيوية، بل أصبحت مندمجة في السياق الديني و الروحي. فقد ارتبطت بالحياة الإيمانية، و أدرجت ضمن منظومة الشريعة الإسلامية، بحيث اعتُبرت الحكمة فهمًا عميقًا في دين الله، كما فسرها من السلف، و الرسول صلى الله عليه و سلم، يقول: «*من يُرد الله به خيرًا يفقه في الدين*» (البخاري،1304، 71).

9.1. الحكمة في القرآن الكريم

القرآن الكريم مليء بالحكمة، إذ يقول: (تِلْك آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ)[يونس: 1]، و(كتابٌ أُحكمت آياتُهُ)[هود: 1]، ويبرز العديد من المواقف الحكيمة في تفاصيل الأحداث .

تحمل آية (وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) [النمل: 20]. مثالًا على كيف يتعامل سليمان (عليه السلام) مع رعيته. من خلال السؤال بدلاً من التسرع في الحكم، يظهر سليمان نهجًا يتميز بالتثبت والتروي. إذ يُبرز كيفية اتخاذ القرار المؤسس على التحقيق والتأكد، حيث يقبل عذر الهدهد عندما يأتي بحجة مقنعة؛ بدأ سليمان عليه السلام بحثه عن الهدهد بطرح تساؤل يدل على التروي و التأكد فقال: (مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ) [النمل: 20]. فقد يكون الهدهد موجوداً لكنه لم يره أو ربما غاب بالفعل. هذا الأسلوب يبين منهجية دقيقة في التحقق قبل إصدار الحكم أو اتخاذ القرار. حينما تحقق سليمان (عليه السلام) من غياب الهدهد، قرر إصدار حكم منصف، يقضي إما بمعاقبته بشدة، أو يذبحه، ما لم يُقدم عذرًا

واضحًا و حجة بينة تبرره و تمنحه النجاة من إحدى هاتين العقوبتين- فسليمان(عليه السلام) لم يتكبر أو يستغل سلطانه و قوته للتجبر على هذا الطائر الصغير، لأنه كان يدرك جيدًا أن الله هو الأقوى منه و هو من يملك الأمر كله. لقد كان سليمان حكيمًا في تحرّيه، صائبًا في توقعاته، فتبين أن الهدهد معذور، إذ جاء بحجة واضحة(أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُک مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)[النمل: 22]، و هو نهج عادل في الحكم، و أسلوب قيادي نادر المثال(العمر،1412، 35).

أثنى الله عزوجل على لقمان عليه السلام بالحكمة، رغم أن الرأي الراجح أنه لم يكن نبيًا(ابن كثير،1990، 443)، و قد ورد في شأن حكمته آثار كثيرة، أوردها المفسرون، منها ما ثبتت صحته، و منها ما هو ضعيف الإسناد. أول ما يلفت النظر في قصة لقمان عليه السلام هو جمال الأسلوب الذي خاطب به ابنه، إذ بدأ نُصحه بنداء رقيق يحمل المحبة و الحنان، فقال: "يا بني". و هو نداء يُشعر بالود و القرب، و يُهيئ النفس لتقبل الموعظة. فالكلمة في ظاهرها نداء، لكنها في حقيقتها مدخل إلى القلب، و مفتاح لفتح أبواب العقل، مما يدل على أن النصح إذا خرج من قلب محبّ، كان أقرب للقبول و التأثير. لقد جمع لقمان في وصاياه لابنه بين أصول الدين و فروعه، فكان وعظه شاملًا متوازنًا، لم يقتصر على جانب دون آخر. بدأ بتحذيره من أعظم الذنوب. لقد جاءت وصايا لقمان في كلمات موجزة وبليغة، بعيدة عن الإطالة و التكلف، تحمل معاني عظيمة في عبارات قصيرة، و هذا من جوهر الحكمة. فالحكمة كثيرًا ما تتجلى في قلة الألفاظ و كثرة الدلالة، و هو ما نراه بوضوح في نصائحه لابنه، حيث جمع بين الجمال اللغوي والعمق التربوي (العمر،1412، 36).

تجسد هذه الممارسات أسس الحكمة التي يؤكدها الإسلام، مع تركيزه على المعاملات الإنسانية الصحيحة والعدالة في الحكم، مستمدًا من تجربة الأنبياء و دروسهم القيمة.

9.2. نماذج من الحكمة في صدر الإسلام

نماذج من حكمة رسول الله صلى الله عليه و سلم، والخلفاء الراشدين و سائر أصحابه رضي الله عنهم:

- تتجلى الحكمة في كلام و أفعال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بشكل واضح، فهو معصوم عن الخطأ. يتميز النبي بحسن التعامل مع أصحابه ومراعاته لظروفهم، وتوثق العديد من الأحاديث ذلك. على سبيل المثال، عندما سأل عبدالله بن مسعود(رضي الله عنه) النبي (صلى الله عليه وسلم) عن أفضل الأعمال، كان جواب النبي: «*الصلاة على ميقاتها*»، قلت: ثم أي؟ قال: «*بر الوالدين*»، قلت: ثم أي؟ قال: «*الجهاد في سبيل الله*»، فسكت عن رسول الله، و لو استزدته لزادني (البخاري،1304، 2782).

عن عائشة(رض) أنها قالت: «*يا رسول الله! نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: لكن أفضل الجهاد حجّ مبرورٌ*»(البخاري،1304، 194).

عن عبدالله بن بُسر(رض): «*أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: لا يزال لسانک رطباً من ذكر الله*»(العمر، 1412، 38). إلى جانب ذلک وردت أحاديث عديدة سأل فيها الصحابة النبي صلى الله عليه و سلم، أفضل الأعمال، فكانت إجاباته تختلف من شخص لآخر، و ذلك مراعاة لاختلاف أحوالهم و ظروفهم، و دلالة على حكمته البالغة و فهمه العميق لنفسيات الناس و احتياجاتهم(العمر، 1412، 38).

كما روى النبي (صلى الله عليه وسلم): « *الحكمةُ ضالّةُ المؤمن، أينَ وجدَها أخذَها*»(زينو، د.ت، 5). وبحيث يسعى المؤمن دومًا للحصول عليها كما يسعى من فقد شيئًا ثمينًا. يدل هذا المعنى حرص المؤمن على طلب الحكمة والتعلم من تجارب الآخرين. و قال الرّسول صلى الله عليه و سلم: «*إنَّ من البيان لسحراً، وَ إنَّ من الشعر لحِكمًا*»(زينو، د.ت،5). و قال ابن الأثير مفسراً هذا الحديث: «*أي إنَّ من الشعر كلاما نافعا يمنع من الجهل و السّفَه*»(زينو، د.ت، 5).

تظهر الحكمة أيضًا في أحداث صلح الحديبية، حيث استجاب النبي (صلى الله عليه وسلم) للتحديات بحنكة. فعند كتابة الصلح، طلب من الكاتب أن يكتب "بسم الله الرحمن الرحيم"، فقال سهيل: «*أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، و لكن اكتب: باسمک اللهم، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي(صلى الله عليه وسلم): اكتب: باسمک اللهم. ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: و الله لو كنا نعلم أنک رسول الله ما صددناک عن البيت، و لا قاتلناک، و لكن اكتب: محمد بن عبدالله، فقال النبي(صلى الله عليه وسلم) و الله إني رسول الله و إن كذبتموني اكتب: محمد بن عبدالله ...*» (البخاري،1304، 100).

إن التأمل في هذا الحدث الجليل يكشف عن عمق حكمة النبي صلى الله عليه و سلم، فقد تعامل مع الموقف بحكمة، فلم ينجرّ خلف الاستفزاز، و لم يتمسك بالشكل مع وجود السعة و المرونة، بل اختار ما فيه خير و مصلحة كبرى للمسلمين. لقد فضّل مصلحة العليا على ردود الفعل العاطفية، فكان هذا الموقف باعثًا لتحقيق مكاسب استراتيجية عظيمة، و لذلك سماه الله تعالى في القرآن "فتحا مبينا" (إِنَّا فَتَحْنَا لَک فَتْحاً مُّبِيناً)[الفتح:1]، رغم أنه لم يكن قتالًا، بل صلحًا و حسن تدبير. و لكي لا يفهم من الحكمة أنها تعني التنازل في كل الأحوال، فإن من تمام الحكمة معرفة متى يكون التنازل مصلحة، و متى يكون الثبات هو الموقف الأصوب. و هذا ما نراه متكررًا في القرآن الكريم، و سنة النبي صلى الله عليه و سلم، و سير الخلفاء الراشدين، فمثلًا نزلت سورة الكافرون(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)[الكافرون:1-2]. لتقطع كل سبيل إلى التنازل في مسائل العقيدة. و كذلك موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حرب الردة حين أبى التنازل عن الزكاة، و هي ركن من أركان الإسلام، و قال: «*و الله لو منعوني عَنَاقاً أو عقالاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله(ص)، لقاتلتهم عليها*»(العمر،1412، 44).

- أبوبكر الصديق، عبدالله (573-634) هو الخليفة الراشد الأول(11-13هـ/632/634م). والد السيدة عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه و سلم. تصدى لحركات الردة بعد وفاة النبي، و تمكن من القضاء على مدّعي النبوة مثل مسيلمة كذاب، و توفي في المدينة المنورة(المقبل،1434، 17).

من حِكمه(رضي الله عنه):

في الخوف من الله تعالى: «*أبكوا فإن لم تبكوا فتباكوا*» (ابن حنبل،1999، 90).

و في دعائه و التوكل على الله: «*اللهم إني أسألک الذي هو خير لي في عاقبة الخير اللهم اجعل آخر ما تعطيني من الخير رضوانک و الدرجات العلى من جنات النعيم*»(ابن حنبل،1999، 93)، و في إصلاح النفس: «*أصلح نفسک يصلح لک الناس*»(صفوت،1933، 76)

- عُمَربن الخطاب(ت23هـ/644م): هو الخليفة الراشد الثاني(13هـ/634م). تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق، و كان أول من أطلق عليه لقب أميرالمؤمنين، عرف بسيرته العادلة، و في عهده توسعت الدولة الإسلامية بشكل كبير، فتم فتح أراضي الإمبراطورية الساسانية و معظم مناطق الدولة البيزنطية(المقبل، 1434، 379).

من حِكمه(رضي الله عنه):

في العدل: «*حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و زنوا أعمالكم قبل أن تُوزَن عليكم، و تزينوا للعرض الأكبر*». «*زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، و حاسبوها قبل أن تحاسبوا، فانه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم، و تزينوا للعرض الأكبر*»(الأصفهاني، 1996، 52). «*لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة لظننت أن الله تعالى سائلي عنها يوم القيامة*»(الأصفهاني، 1996، 53).

و في تحمل المسؤولية: «*لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله عنها: لمَ لم تمهد لها الطريق يا عمر؟*»(الماوردي،1987، 205).، يوضح فيه الشعور الكبير بالمسؤولية عن جميع من يقع تحت رعايته.

و أيضًا من أقواله في أمور مختلفة: «*المدح الذبح*»(الماوردي،1987، 205). «*التُّؤدة في كل شيء خير إلا ما كان من أمر الآخرة*»(ابن حنبل،1999، 98).«*عليكم بذكرالله فإنه شفاء و اياكم و ذكر الناس فإنه داء*» (ابن حنبل،1999، 101). «*من يدخل مدخل السُّوء يُتَّهم*»(المقبل،1434، 33). «*إن الدين ليس بالطنطنة من آخر الليل و لكن الدين الورع*»(ابن حنبل،1999، 104).«*لا تحقرنَّ شيئًا من الخير و إن كان صغيرا، فإنك إذا رأيته سرّك كانه، و لا تحقرنَّ شيئاً من الشر و إن كان صغيراً؛ فإنك إذا رأته سائك مكانُهُ*» (الماوردي،1999، 194).

•عثمان بن عَفّان(ت 35 هـ/656م): هو ثالث الخلفاء الراشدين 23هـ/644م. ينتمي إلى بني أمية من قريش. نال شرف الزواج من ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم، رقية ثم أم كلثوم، و لذلك لُقّب بـ"ذو النورين". من أبرز أعماله جمع القرآن في مصحف واحد. قُتل مظلومًا في بيته خلال اضطرابات داخلية(المقبل،1434، 371).

من حكمه(رضي الله عنه):

«*لو طهرت قلوبكم، ما شبعت من كلام الله عزوجل*» (ابن حنبل،1999، 106). «*ما من عامل يعمل عملاً إلا كساه الله عزوجل رداء عمله*» (ابن حنبل، 104). «*لو أني بين الجنة و النار لا أدري إلى أيهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيهما أصير*» (ابن حنبل،1999، 106)، «*و ما أحب أن يأتي علي يوم و لا ليلة إلا أنظر في الله يعني القراءة في المصحف*»(ابن حنبل،1999، 106).

و ما عُسرةٌ فاصبر لها إن لقيتها بباقيةٍ إلّا ستيتبعُها يسْر(الماوردي،1999، 138).

• علي بن أبي‌طالب(ت 40 هـ/661م): هو رابع الخلفاء الراشدين و ابن عم النبي صلى الله عليه و سلم و صهره، إذ تزوج من ابنته فاطمة الزهراء. من أبرز المشاركين في معارك بدر و أحد و خيبر و الخندق و حنين، و قد أظهر فيها بسالة و شجاعة لافتة. من حِكمه(رضي الله عنه):

في الصبر و الحكمة: «*الصبر مطيعة لا تكبو*»(عوضين،1982، 355)، في الأخلاق الاجتماعية من وفاء، و عدل، و صداقة، و جود، و ما إلى ذلك. و من أروع ما قال: «*إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غنيّ، و الله تعالى سائلهم عن ذلك*»(عوضين،1982، 355). «*من حاول أمراً معصية الله عزوجل، كان أبعدَ لما رجا، و أقربَ لمجيء ما اتقى*»(الماوردي،1999م) في معرفة النفس: « *هلك امرؤ لا يعرف قدره*»(عوضين،1982، 354). و معرفة النفس في نظره أصل كل إصلاح و أساس كلّ معرفة و طريق إلى كل خير. و هي الشرط الأساسي لحسن معاملة الغير، و الابتعاد عن الشر، فإن «*من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره*»(عوضين،1982، 35).

• سلمان الفارسي(ت 35 هـ/655م): أحد صحابة النبي صلى الله عليه و سلم، عرف بعقله الراجح و زهده العميق، وله مواقف تدل على تواضعه و بعد نظره، من أبرزها ما رُوي إن بعض رجال قريشٍ تفاخروا ذات يوم بحسبهم و نسبهم أمامه، فقال لهم سلمان: «لكنني خُلقت من نطفةٍ قذرة، ثم أعود جيفةً منتنةً، ثم آتي الميزان، فإن ثَقُل فأنا كريم، و إن خفّ فأنا لئيم»(المقبل،1404، 215). «*ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني: مؤمل دنيا و الموت يطلبه، و غافل ليس بمغفول عنه، و ضاحك ملء فيه و لا يدري أساخط ربه أم راضٍ* (الأصفهاني،1996، 207).

• عبدالله ابن مسعود(توفي 32 هـ/652م): من أوائل من دخلوا الإسلام، و هو صحابي جليل و محدث معروف بعلمه و فضله، اشتهر بدقته في رواية الحديث و عمق فهمه للقرآن و السنة. من أقواله: «*إنَّ الناس قد أحسنوا القول، فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه، و من لا يوافق قوله فعله، فذاك الذي يوبّخ نفسه*» (معلوف،1423، 105). «*كفى بخشية الله علماً، و كفى بالاغترار جهلاً*»(المقبل،1434، 98).

• مُعاذ بن جَبَل(ت 18هـ/639م): من الصحابة الذين شاركوا في فتح بلاد الشام، و توفي إثر إصابته بطاعون عمواس خلال تلك الحملة. من أقواله: « *يا بُنيّ، إذا صلّيت صلاةً، فصلِّ صلاة مودّع: لا تظنُّ أنّك تعود إليها أبدًا، و اعلم يا بنيَّ أنَّ المؤمن يموت بين حسنتين: حسنةٍ قدَّمها، و حسنةٍ أخّرها*»(27:135)(المقبل، 1434، 135). و في اشتغال بذكرالله: «*إنّك تجالس قومًا لا محالة يخوضون في الحديث، فإذا رأيتهم غفلوا، فارغب إلى ربك عند ذلك رغباتٍ*»(المقبل،1434، 136).

•أبوهُريرة، عبدالرحمن بن صخر الأزدي(ت 59هـ/678م): أحد الصحابة الفضلاء و أكثرهم رواية للحديث، و توفي في المدينة المنورة. من أقواله: *حينما سأله رجلٌ: ما التقوى؟ فقال: «أخذتَ طريقًا ذا شوكٍ؟» قال: نعم، قال: «فكيف صنعت؟» قال: إذا رأيت الشوك، عدلت عنه، أو جاوزته، أو قصرت عنه. قال: «ذاك التقوى»*(المقبل،1434، 227).

•حَسّان بن ثابت(ت 684هـ): شاعر من أهل المدينة عاش في الجاهلية و الإسلام، و كان يمدح الغساسنة قبل إسلامه، ثم أسلم و أصبح يعرف بشاعر النبي، حيث دافع عن الإسلام و هجا مشركي قريش، و له ديوان شعري معروف(معلوف،1423، 220)، و من أقواله:

فإن لم تكن أنت المسيء بعينهِ فإنك ندمانُ المُسيءُ و صاحبُه(الماوردي،1999، 69).

ربَّ حلمٍ أضاعهُ عدم الما لِ و جهل غطى عليه النعيم (الماوردي،1999، 222).

10. النتيجة

• كانت الحكمة في الأدب الجاهلي نتيجة للحوادث الزمانية و خلاصة للتجارب الشخصية في الحياة و ليست نتيجة العلم و التفكير العميق.

• تشمل الموضوعات الأساسية للحكمة في الأدب الجاهلي قيم الشجاعة، و الكرم، و الإيثار، ما كانوا يؤمنون بالقدر و غيرها من القيم الأخلاقية التي كانت تتوافق مع طبيعة الحياة الاجتماعية.

• اعتمدت الحكمة في الجاهلية على أساليب الإيجاز و البلاغة كما تميزت بالأمثال و الشعر القصير الواضح الذي يبرز معاني فلسفية بليغة رغم قصرها، و تنوعت بين القصص و الأمثال و الأبيات الشعرية.

• أحدث الإسلام تغييراً جوهرياً في معايير الحكمة؛ حيث باتت تتضمن تعاليم دينية و قيماً روحية أعلى، كالإيمان بالله و الاهتمام بالآخرة بدلاً من التركيز المفرط على الحياة الدنيا، فأصبحت الحكمة تتناول موضوعات جديدة مثل التقوى و التقرب إلى الله.

• تشتمل الحكمة في الأدب الإسلامي على الدعوة إلى الصبر، و التقوى، و التواضع، و الزهد، و محاسبة النفس، و التوكل على الله، فضلاً عن الحث على الخير و الأخلاق الحسنة، و جميعها موضوعات ذات طابع ديني مستوحى من القرآن الكريم و السنة النبوية.

• في الأسلوب؛ تتميز الحكمة في الأدب الإسلامي بالنزعة الروحية و الاهتمام بمفهوم الآخرة، إلى جانب الاستخدام المتكرر للاستشهاد بالنصوص الدينية، فجاءت الألفاظ أكثر صفاءً و معانيها أعمق في التعبير عن الموعظة و التوجيه.

• كليهما يمثلان خلاصة تجارب بشرية تتعلق بالحياة و الموت و الكرامة بأسلوب موجز و مكثف.

• اعتمدت الحكمة في كلتا المرحلتين على الإيجاز و الاختصار لإيصال المعنى، و هو ما يتماشى مع الأسلوب الشعري و النثري.

• لم تتأثر الحكمة في الأدب الجاهلي بدين معين، بينما أصبح الدين الإسلامي هو المرجع الأول للحكمة في الأدب الإسلامي، و أثرت تعاليمه مباشرة في المفاهيم و القيم الأدبية.

• الحكمة الجاهلية كانت تهدف إلى تعزيز مكانة الفرد و القبيلة، بينما في الإسلام تهدف الحكمة إلى بناء مجتمع عادل و متماسك.

المصادر و المراجع

[1]. القرآن الكريم.
[2]. ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد.(1999). الزهد. بيروت: دارالكتب العلمية.
[3]. ابن فارس، أبي الحسن أحمد.(1979). معجم مقاييس اللغة. جـ2. بيروت: دارالفكر.
[4]. ابن كثير، أبوالفداء الحافظ.1990). البداية و النهاية. الجزء الثالث. الناشر: مكتبة المعارف.
[5]. ابن منظور. الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم.(1303ه). لسان العرب. تحقيق عبدالله علي الكبيرى و آخرون. القاهرة: دارالمعارف.
[6]. الأسد، ناصرالدين.(1996)مصادر الشعرالجاهلي و قيمتها التاريخية. بيروت: دارالجيل.
[7]. الأصفهاني، الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله.(1996). حلية الأولياء و طبقات الأصفياء. القاهرة: دارالفكر.
[8]. البخاري، محمد بن إسماعيل.(1304). صحيح البخاري. مصر: الشرقية.
[9]. التونجي، محمد.(1999). المعجم المفصل في الأدب. بيروت: دارالكتب العلمية.
[10]. الجاحظ، أبي عثمان عمر بن بحر.(د.ت). كتاب الحيوان.ط2. تحقيق: عبدالسلام محمدهارون. مصر.
[11]. الجمحي، محمد بن سلام.(1974). طبقات فحول الشعراء. السفرالأول. الجدة: دارالمدني.
[12]. الدينوري، أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة.(2008). عيون الأخبار. ج1. بيروت: المكتب الإسلامي.
[13]. الرافعي، مصطفى صادق.(2000م). تاريخ الآداب العرب، الجزء الثالث. الطبعة الأولى. بيروت: دارالكتب العلمية.
[14]. الرافعي، مصطفى صادق.(2000م). تاريخ الآداب العرب، الجزء الثاني. الطبعة الأولى. بيروت: دارالكتب العلمية.
[15]. زينو، عبدالقادر.(د.ت).موسوعة اللآلي من شعر الحكمة في العصر الجاهلي. بيروت: دارالكتب العلمية.
[16]. صفوت، أحمدزكي.(1933). جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة.ج1. القاهرة: شركة مكتبة و مطبعة مصطفى.
[17]. يف، شوقي.(1960). تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي. القاهرة: دارالمعارف.
[18]. العسكري، أبوهلال الحسن بن عبدالله بن سهل.(1971).كتاب الصناعتين. ط:2.تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبوالفضل إبراهيم. مطبعة عيسى الحلبي.
[19]. العمر، ناصر بن سليمان.(1412). الحكمة. الرياض: دار الوطن للنشر.
[20]. عوضين، إبراهيم. (1982).الأدب العربي القديم بين البادية و الحضر. المنصورة: مطبعة السعادة.
[21]. الفاخوري، حنا.(1986). الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم. بيروت: دارالجيل.
[22]. الماوردي، أبوالحسن علي بن محمد بن حبيب البصري.(1987). أدب الدنيا و الدين. بيروت: دارالكتب العلمية.
[23]. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب.(1999). الأمثال و الحكم. الرياض: دارالوطن للنشر.
[24]. محمد، سراج الدين.(د.ت). موسوعة المبدعون الحكمة في الشعر العربي. بيروت: دارالراتب الجامعية.
[25]. معلوف، لويس.(1196).المنجد في اللغة. الطبعة السابعة والثلاثين، بيروت: دار المشرق.
[26]. معلوف، لويس.(1423).المنجد في الأعلام. الطبعة الثالثة و العشرون، بيروت: دار المشرق.
[27]. المقبل، عمربن عبدالله بن محمد.(1434). مواعظ الصحابة(رض). مكتبة دارالمنهاج.
[28]. يعقوب،إميل بديع.(1991). ديوان عمروبن كلثوم. الطبعة الأولى.بيروت: دارالكتب العربي.
[29]. اليعقوبي.(1358). تاريخ اليعقوبي. النجف: مطبعة الغرى.